مشهد

قَدّم مشهد ركوع الملاكمة الإيطالية وإجهاشها بالبكاء الاستعراضي وسط الحلبة بعد انسحابها من النِّزال أمام منافِستها الجزائرية، بعد أقلّ من دقيقة على بدء المواجهة، الصورةَ الأكثر تعبيراً عن هزيمة الإنسان الغربي المُعاصر الذي استسلم لحسابات «الشو»، بدل القتال حتى الرمق الأخير لتحقيق النصر أو الانهزام بكرامة

إيمان خليف «إعادة تعريف المرأة»

كيف فككت الشابة الجزائرية خطاب الحداثة في 46 ثانية

اهل بوشارب

أخرجت بطلةُ الملاكمة الجزائرية إيمان خليف، من خلال مشاركتها في أولمبياد باريس، كلّ العُقد الأيديولوجية لعالمنا الحديث، وعرّت الأزمة الفكرية العميقة التي تعيشها المجتمعات الغربية اليوم. وقد وجد السياسيون والكتّاب وصنّاع الرأي الغربيّون في الألعاب الأولمبية «الفَزّينة» الأمثل للسجال على خلفيتها بشأن نظرية الجندر، بالنظر إلى التغطية الإعلامية التي يحظى بها الحدث الرياضي الأبرز في العالم.

وقد أظهر الجدل الأخير حول نزال خليف مع الملاكمة الإيطالية أنجيلا كاريني البون الشاسع بين عالمين يبدوان، كلّ يوم، أكثر تباعداً بعضهما عن بعض، ليس فقط في رؤيتهما لبديهيات مثل ماهية المرأة والرجل، ولكن أيضاً في مقاربة مفهوم الرياضة الذي برع - للمفارقة - الإغريق في التنظير لقيَمها، ليجد الغرب نفسه اليوم أبعد ما يكون عن روحيتها. وهكذا قدّم مشهد ركوع الملاكمة الإيطالية وإجهاشها بالبكاء الاستعراضي وسط الحلبة بعد انسحابها من النزال أمام خليف، بعد أقلّ من دقيقة واحدة من بدء المواجهة، الصورةَ الأكثر تعبيراً عن هزيمة الإنسان الغربي المُعاصر الذي استسلم لحسابات «الشو»، بدل تقديم التضحيات وخوض معاركه باستبسال، والقتال حتى الرمق الأخير لتحقيق النصر أو الانهزام بكرامة.

وكان النزال بين الملاكمتين قد سبقه لغط واسع في وسائل الإعلام الإيطالية حازت معه الملاكمة الإيطالية شهرةً واسعة، حتى قبل تقديم أيّ انجاز رياضي لبلدها، وحصل ذلك بفضل «الجندر»! وللمزيد من الاستثمار في الشهرة المجّانية بدل القتال داخل الحلبة، يعرف كلٌّ خبراء «الشو» أنّ تنفيذ حركة التهاوي على الركبتين، مرفقةً برفع العينين إلى السماء مع مصاحبة ذلك بانتحاب شديد، يمكن أن يصنع «لقطة ضحية» مثالية من شأنها كسب تعاطُف الرأي العام، ويضع الملاكمة المنسحبة بهذا الشكل في خانة الامتياز ضمن الحساسية الغربية الحديثة التي نظّر لها الكاتب الأميركي - الأسترالي روبرت هيوز في كتابه الأيقوني «ثقافة التباكي» الصادر قبل أكثر من ثلاثين سنة، معلّناً فيه أنّ «الحساسية الجديدة تقضي بأن يكون أبطالنا هم الضحايا».

وقد وقف هيوز، في مؤلّفه الشهير، على أهمّ التحوّلات الفكرية والثقافية التي جعلت الإنسان الغربي يجنح، بحسابات براغماتية، إلى لعب دور الضحية والتموقع دوماً في هذه الخانة للتكسّب منها، بدل السعي المكلّف لتحقيق البطولة: «مثلما كان أسلافنا في القرن الخامس عشر مهووسين بخلق القدّيسين وأسلافنا في القرن التاسع عشر مهووسين بإنتاج الأبطال (بداية من كريستوفر كولومبوس وصولاً إلى جورج واشنطن)، بات يسكننا نحن هوس التنقيب والاحتفاء بالضحايا، وإذا لزم الأمر أيضاً، صُنعهم». والحقيقة أنّ وصول هذه الحسابات إلى عالم الرياضة .آخر معاقل البطولة في العالم الغربي، بعدها إعلان انسحابها. كلُّ هذا بالرغم من أنّ منافِستها تعرّضت لعدّة هزائم في تاريخها الرياضي على يد ملاكمات سيّدات مثلها، ما بدّل أنّ مسار تطوّرها هو مسار رياضية حقّقت نجاحاتها من خلال التدريب المنضبط كأيّ رياضي محترف هدفه الأوّل هو تحقيق البطولات، لا التهريج وسط الحلبة.

وحدث أن وجدت إيمان خليف نفسها عالقة في مشهد قبيح من مشاهد سقوط القيم الغربية، وما سبقه من لغط بدا قبل سنوات قليلة (في الغرب وحده) حول المرأة هي الأنثى البيضاء المنتمية حصراً إلى العرق القوقازي، وعدا عن ذلك فنحن أمام عيوب في التصنيع (لها تفسيرات تطورية دارْوينية) قد تصل مع اشتداد قتامة لون الأنثى واختلاف تكوين عظام جمجمتها حدّ نفي صفة البشرية عنها، لتُنبئ بـ«هزيمة الغرب» الوشيكة بتعبير المؤرّخ الفرنسي إيمانويل تود.

وحدث أن وجدت الملاكمة الجزائرية إيمان خليف فجأةً نفسها طرفاً في مشهد تاريخي في أولمبياد باريس يختصر معاني السقوط الحضاري لغرب لم يعُد يخجل من خيانة قيمه العريقة «لمجرّد الظفر بمشاركة في برامج تلفزيون واقع أو الانتهاء بترشيح في قوائم فراتيللي ديتاليا»، هذا ما علّق به متابعون إيطاليون على مواقع التواصل انتقاداً لما اعتبروه استعراضاً مُخزياً لا ينتمي إلى عالم الرياضة من ملاكمة استسلمت من دون أدنى مقاومة، وعلاوة على ذلك رفضت مصافحة منافستها، إمعاناً في دور الضحية، على اعتبار أنها لن تصافح «رجُلاً» ضَربها: «هذا ظلم.. هذا ظلم»، هذا ما قالته لمدرّبها وهي تنوح بمرارة وتطوّح برأسها ذات اليمين وذات الشمال، قبل أن تتوجّه إلى الكاميرات وتجثو على ركبتيها كأيّ ممثّلة من الدرجة العاشرة، ويتمّ بعدها إعلان انسحابها، كلُّ هذا بالرغم من أنّ منافِستها تعرّضت لعدّة هزائم في تاريخها الرياضي على يد ملاكمات سيّدات مثلها، ما بدّل أنّ مسار تطوّرها هو مسار رياضية حقّقت نجاحاتها من خلال التدريب المنضبط كأيّ رياضي محترف هدفه الأوّل هو تحقيق البطولات، لا التهريج وسط الحلبة.

وحدث أن وجدت إيمان خليف نفسها عالقة في مشهد قبيح من مشاهد سقوط القيم الغربية، وما سبقه من لغط بدا قبل سنوات قليلة (في الغرب وحده) حول المرأة هي الأنثى البيضاء المنتمية حصراً إلى العرق القوقازي، وعدا عن ذلك فنحن أمام عيوب في التصنيع (لها تفسيرات تطورية دارْوينية) قد تصل مع اشتداد قتامة لون الأنثى واختلاف تكوين عظام جمجمتها حدّ نفي صفة البشرية عنها، لتُنبئ بـ«هزيمة الغرب» الوشيكة بتعبير المؤرّخ الفرنسي إيمانويل تود.

الفاشيّة المتباكية

خصّص الروائي فولفيو إرّاتي (الصورة)، مقالاً قاسياً لمواطنته الملاكمة الإيطالية، وصفها فيه بـ«الفاشيّة المتباكية التي تلعب دور الضحية»، موكّداً أنّ تمثيليتها على الحلبة لم تكُن سوى ميلودراما قميئة مستلّة من «سفل سافلي ثقافة الوولك». انتقد الإرّاتي من تطاول على الملاكمة الجزائرية أو حاول الانتقاص من أولّتها، مشيداً بروحها الرياضية، وهي التي حاولت بعد انتهاء النزال مواساة الإيطالية «الصغيرة جدّاً بأخلاقها».

ضمع «لقطة ضحية» مثالية من شأنها كسب تعاطُف الرأي العام (Getty)

مشهد تاريخي يختصر معاني السقوط الحضاري للغرب

حساسية جديدة تقضي بأن يكون «أبطالنا هُم الضحايا»

أساساً على تلقّي اللكمات، فإنّ موقف اليسار من الدفاع عن إيمان، على اعتبار أنّها شخص «يُعرّف نفسه كامرأة»، ليس أقلّ عنصرية؛ ذلك أنّ إيمان لا تعرّف عن نفسها كامرأة بقرار شخصي منها (وهذا هو روح نظرية الجندر)، ولكن لأنّها وُلدت كأنثى، وهي تخضع لهذا التعريف بمقتضى علم وظائف أعضاء الإنسان، والذي تتنوّع تفاصيله من إنسان إلى آخر بحسب إرادة الخالق: الله (وليس طبيب التجميل). أمّا ما قامت به إيمان بعيداً عن محدّدات الفيزيولوجيا، في ما يدخل ضمن إرادتها الحرّة، فهو قرارها/ احتراف الملاكمة والدفاع عن علَم بلدها، ليتبعه تشجيع أسرتها ومجتمعها القروي، كما تذكر هي في تصريحاتها لوسائل الإعلام ويذكر والدها بفخر، لتحظى بعدها بدعم شعبي؛ حيث غدت إيمان بطلةً محبوبة ينتظر الجميع في الجزائر إنجازاتها ويُهلّل لكلّ انتصاراتها.

(روائية ومترجمة جزائرية مقيمة في إيطاليا)

تصويب

جاري يحيى

باسم النبريص

الله يرحمك يا جار يحيى. عشنا طفولتنا ومراهقتنا مع بعضنا البعض، في الحواري والأحراش. وكان الأخير، عكس الأولى، جنّة فقراء المخيّم، وأهمّ المساحات الخضراء الأكثر عزلة والأكثر شهرة، على مستوى الجيب الساحلي.

كنّا نصطاد العصافير والسحالي والورل، ونسرق من ثمار البيّارات. كنّا نفعل كلّ شيء إلّا الشيء الذي أتينا من أجله: المذاكرة.

لقد وصلني خبره اليوم: ارتقى في هذه الحرب، مع 12 من بناته وأحفاده، وهو نازح داخل الخيمة في مواصي رفح.

كان طيّب القلب مثل الصباح الباكر في القرى. وكان صاحب نهفات. ذات يوم، عام 1977، أخبرني أنه مخاوي جنّية. وبعد أشهر، أخبرني أنه يعاني من جنّ يحاولون قسره على ممارسة الحُبّ معهم! كنّا وكانت الأحراش الممتدّة من رفح لدير البلح متنزّهنا الطبيعي. ثم جاء إيديّو الطبيعة بجرّافاتهم العملاقة وتلمودهم، ومسحوه عن ظهر نبتة، في فواتح ثمانينيات القرن العشرين.

وها هو يحيى يرتقي فوق نفس التراب، بعد أن أصبحت الأحراش صحراء من الرمال، لا تردّ برداً ولا قيظاً.

سقا الله سنواتٍ ورخاء تلك الأيام التي لا تُعوّض. الأيام التي كانت نسغ ما أنا عليه اليوم...

سقا الله ذكريات الجار الغالي، الذي كبر وعاش وأنجب مقاتلين أشداء بلا شبيه.

(شاعر فلسطيني مقيم في بلجيكا)

إطلالة

حرج الرواية

ممدوح عزام

يميل باتريك بارندر في كتابه «الأمّة والرواية» (صدر بترجمة محمد عصفور عن «المركز القومي للترجمة» عام 2009)، إلى التعريف بهوية الرواية استناداً إلى موضوعها، لا إلى لغتها، أو جنسية كاتبها؛ فـ«أيّ رواية تحدث أحداثها جزئيا أو كلّياً ضمن صيغة خيالية من المجتمع الإنكليزي، يمكن أن تندرج وفقاً لهذا المعيار تحت مسمّى الرواية الإنكليزية». وبسبب هذا التعريف، فإنه يَقرأ الرواية الإنكليزية من حيث تعبيرها عن الفكر القومي للأمّة. والاستنتاج الذي يمكن أن يخرج به القارئ لهذا الكتاب أنّ الناقد يرى أنّ الرواية سوف تكون جزءاً من صراع الثقافات، أو عنصراً فاعلاً في هذا الصراع، نظراً لكون معظم القوميات التي نشأت في الزمن نفسه الذي ظهرت فيه الرواية، داخل هذه القوميات نفسها، تحوّلت في ما بعد إلى التوسّع الاستعماري.

يَظهر هذا التضادّ جلياً وواضحاً في الصراع العربي مع الصهيونية وكيانها «إسرائيل»؛ فالتعبير الروائي الإسرائيلي لا يزال، حتى اليوم، في مجمله، صهيونياً، وليس لدى أيّ روائي إسرائيلي رواية للتاريخ القريب، أي تاريخ نشوء «إسرائيل»، غير الرواية الصهيونية، أي تلك التي تُزوّر التاريخ. وبهذا المعنى، فإنّ الرواية يمكن أن تكون في مرّات كثيرة تعبيراً عن العنصرية أو الكراهية أو المنطق الاستيطاني الاستعماري، كما هو حال الرواية في «إسرائيل»، ولم يثبت بعد، سواء من خلال النصوص القليلة المترجمة إلى العربية، أو من خلال الدراسات والأبحاث التي كتبها أدباء ونقّاد ومؤرّخو أدب عرب، مثل غسّان كنفاني وصلاح حزين وعماد الجوهري، أنّ الرواية هناك قد قدّمت عكس ذلك. فما هو الموقف من فنّ الرواية في هذه الحالة؟

يُحرج الأدب الإسرائيلي، والرواية الإسرائيلية خاصّة، الفكرةَ السائدة عن أنّ فنّ الرواية فنّ إنساني بالقوّة والفعل، هذا هو التعريف المحبَّب لنا جميعاً عن هذا الفنّ العظيم؛ فقد جنّد الكتّاب الصهاينة هذا النوع، منذ زمن بعيد، أي من القرن التاسع عشر، للتعبير عن التطلّع الصهيوني لإقامة الدولة اليهودية. وفي هذه الحالة، فإنّ الرواية تتجاهل تجاهلاً تامّاً وجود شعب آخر يزيد عدد المنتمين إليه عن عشرة ملايين إنسان هو الشعب الفلسطيني، كما تتجاهل الفكرة الاستيطانية التي نُفّذت بقوّة السلاح، وتتجاهل التاريخ والحقائق التاريخية، وتُعمض فكرها عن المذابح التي ارتكبتها العصابات الصهيونية في فلسطين أثناء الاحتلال البريطاني، أو مارسها ويمارسها الجيش الإسرائيلي بعد نشوء «إسرائيل»، ومذابح غزّة حاضرة أمامنا. والغريب أنّ الرواية في العالم، وهي الفنّ الإنساني بامتياز، الفنّ الذي يعلن عن انحيازه إلى جانب قضايا الحرية والعدالة، وإلى جانب قضايا التحرّر، لم تُسجّل اختراقات ذات شأن في التقاطُع مع الثقافة الاستعمارية، واللافت أن يكون التاريخ والمؤرّخون مَن سجّلوا هذه الاختراقات، ويبدو اليوم المؤرّخون اليهود والإسرائيليون (إيلان بابيه في كتابه «التطهير العرقي وشلومو ساند في كتابه اختراع الشعب اليهودي» مثلاً) هُم الذين قدموا سلسلة من الكتب التي أبطلت الرواية، وعطّلت موضوعاتها، وأحرجت الروائيّين، سواء أولئك الذين لاحقوا حكايات تزوير التاريخ القديم، أو أولئك الذين لاحقوا حكاية نشوء كيانهم، أو زوّروا مسائل الصراع بين المستوطن الصهيوني والمواطن الفلسطيني.

(روائي من سورية)

فعاليات

تعقد «الهيئة الملكية الأردنية للأفلام» في عمّان، عند السابعة من مساء الخميس المقبل، جلسة بعنوان «التصميم المستقبلي الآن»، تقدّمها المهندسة المعمارية والمصمّمة النمساوية جوليا كورنر. تضيء الجلسة التحوّلات في عالم الطباعة ثلاثية الأبعاد والتصميم الرقمي في أفلام هوليوود ومجال الأزياء وغيرهما.

تُعرض، عند السابعة والنصف من مساء الخميس المقبل، في «مسرح المدينة» ببيروت مسرحية «نساء بلا ربّ» للمُخرجة اللبنانية ياسمينا الامين، ويتواصل عرضها لثلاثة أيام. يستند العمل الى نصّ للمسرحي العراقي جواد الاسدي، يروي قصّة ثلاث لاجئات سوريّات يعشن في ملجأ واحد، ويستعرضن ماضيهن المخفي. توّدي الادوار الممثّلات: رنيم شمص، وفاطمة الزين، وسائدرا بو كروم.

حتى السابع عشر من الشهر الجاري، تتواصل في مدينة راس البر المصرية فعاليات الدورة الخامسة من «معرض راس البر للكتاب»، والتي انطلقت امس الخميس. المعرض، الذي تُنظّمه «الهيئة المصرية العامّة للكتاب»، يتضمّن مجموعة من المحاضرات والندوات وحفلات اشهار الاصدارات الجديدة وورش الاطفال.

تتواصل في الرباط فعاليات الدورة الثالثة من مهرجان «راب افريكا»، والتي افتتحت في الثاني من الشهر الجاري. المهرجان، الذي يقام ضمن «احتفالية الرباط عاصمة للثقافة الافريقية»، يشارك فيه عدد من الفنّانين؛ من بينهم: نجاة الرجوي، وعمر سهيلي (ديزي دروس)، وعيشة تاشينويت، ودون بيغ وآخرون.

إحراج أطروحات الضحية التي يتغذّى عليها الغرب

بعيداً عن أجندات النسوية النيوليبرالية

من الطبيعي أن تأتي كل الأحاديث بشأن إيمان خليف مهوّنةً من دور مجتمعها في صنع نجاحها، ومعمّمة على ثقافتها الأمّ التي لطالما احتفت بالمرأة

إيمان خليف بعد فوزها على منافستها الإيطالية (Getty)

لا يتوافق الملمح البارز في مسيرة إيمان خليف، والمرتبط أساساً بديناميكيات تفاعُل المرأة العربية مع مجتمعها وتفاعُل المجتمع العربي الإيجابي مع المرأة الناجحة، مع خطابات الأيديولوجية التقدّمية، ويُحرج أطروحات الضحية التي يتغذّى عليها، وحيث إنّ الجناح التقدّمي الغربي لا يروّج لنجاح أيّ امرأة عربية أو امرأة قادمة من دول الجنوب عامّة إن كانت تتحرّك خارج أطره الأيديولوجية المعروفة. ذلك أنّ المجتمعات العربية تُعرّف ضمن أطروحات اليسار على أنّها جحيم «بطريركي» لا تنجح فيه سوى النساء المتمرّدات على بيئتهن الوطنية والمتبنّيات لخطاب الجندر والنسوية المتطرّفة بالضرورة. لذلك كان من الطبيعي أن تأتي كلّ الأحاديث بشأن إيمان مهوّنةً من دور مجتمعها في صنع نجاحها، ومعمّمة على ثقافتها الأم التي لطالما احتفت بالمرأة بصدق وعفوية بعيداً عن أجندات النسوية النيوليبرالية.

دفع ذلك ببعض المدافعين اليساريّين عن إيمان في إيطاليا للتخمين أنّها «تعاني بصمت» بعد أن انتشر خبر عدم قانونية التحوّل الجنسي أساساً في الجزائر، وجعلهم يقومون بتبنّي «قضيّتها» في إطار فهمهم القاصر لوعي النساء العربيات، معتبرين أنّ إيمان تنتمي إلى مجتمعهم الأيديولوجي «المظلوم في كلّ زمان ومكان»، متجاهلين أنّ المعنية بالأمر اختارت بإرادتها أن تُعبّر عن نفسها من خلال انتمائها الوطني حصراً، بوصفها رياضية ترى نفسها أوّلاً وأخيراً ابنة شعب يُحبّها ويُقدّر مسارها وتضحياتها (وهذه هي روح المشاركة في الألعاب الأولمبية منذ زمن الإغريق) بعيداً عن «لعبة الضحية» وكلّ الجعجعة الأيديولوجية الدائرة حول «الجندر»؛ وهي الأيديولوجيا نفسها التي تنبّأ المؤرّخ الفرنسي إيمانويل تود في آخر إصداراته (كانون الثاني/ يناير 2024) بأنّها هي ما سيكتب نهاية الغرب الحضارية.

من جهة أخرى، لم يَخلُ الجدل في إيطاليا بشأن إيمان خليف من آراء متوازنة ورصينة؛ حيث تساءل الفيلسوف الإيطالي دييغو فوزارو عن «التعنّت الأيديولوجي الذي يريد أن يجعل من إيمان خليف متحوّلةً جنسياً في حين أنّها وُلدت أنثى»، ويواصل فوزارو في فيديو نشره على قناته على يوتيوب أنّ «إيمان خليف امرأة حتى إن كانت معدّلات التستوستيرون عندها عالية، بل حتى إن وُجدت في خريطتها الجينية آثار من كروموزم ذكري، فهي امرأة بحسب التعريف الأرسطي الكلاسيكي للمرأة». يقول الفيلسوف الإيطالي، الذي يُعدّ من أشدّ المناوئين لأيديولوجيا الجندر في إيطاليا وأبرز منتقدي الخطابات النسوية الراديكالية، إنّه كان يناصر بحسّه الوطني الملاكمة الإيطالية (التي عادت واعتذرت لاحقاً)، لكنّ هذا لا يجعله يوافق على تبرير انسحابها بادّعاء أنّ منافستها كانت رجُلاً.

... أمل